

موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من تربية الإنسان الدكتور محمد مصطفى كامل¹

ملخص البحث: الرسول الأمي الخاتم صلى الله عليه وسلم أحدث أغرب انقلاب في تربية الإنسان فقدم بفضله أمة وليدة متحضرة ومنتقفة منقطعة النظير في تاريخ الأنسان. فوددت أن أقدم للقراء الكرام مقالا يعبر عنها خير تعبير ويصورها خير تصوير فتحدثت في هذا المقال عنها ووضحت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأثرها التربوي ودوره القيادي في التربية ثم صورت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم الجماعة الوليدة على عناصرها من الإيمان وروح التوحيد والتقوى وكرامة الإنسان ورفض دعوى الجاهلية. ثم عالجت تربية الرسول صلى الله عليه وسلم على طهارة شاملة : طهارة القلب ونظافة الجسم والثوب والشعر ونظافة الدار والبيئة وطيب رائحة الفم كما تحدثت عن الاعتدال في الأكل والشراب والتربية على التمسك بوسطية الإسلام وحنيفيته غيرها.

الهدف من هذا المقال

إن السيرة النبوية المطهرة قدوة صالحة للمربين والمصلحين جامعة لأساليب التربية والتعليم كل من أراد أن يتعلم صنعة التربية والتعليم ويرغب أن يفوز بقدوة يقتدي بها في هذا المجال فلن يجد مثل ما يجد في حياته الحافلة بالإنجازات في هذا المجال، قد أرسله الله عز وجل معلما ميسرا في الأميين « لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معتنا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا »¹ فوددت أن أقدم قدوته الصالحة الناجحة في التربية في لباس جديد لهذه الأمة التائهة حيث ما يصلح آخرها إلا بما صلح السلف.

¹ الأستاذ المشارك ورئيس قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية

مفهوم التربية

(أ) معنى التربية لغة واصطلاحاً

التربية إذا عدنا إلى قواميس اللغة العربية ومعاجمها وجدنا ما يلي:
 أولاً: ربى الشيء ربواً وربواً: نما، وزاد وفي التنزيل الحكيم: (وَتَرَى
 الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ
 بِهَيْجٍ) [سورة الحج:5].

ثانياً: ربى يربى على وزن خفى يخفى ومعناها: نشأ وترعرع، ربى فى
 بنى فلان- ربواً وربواً نشأ فيهم .
 ثالثاً: رباه: نمّاه و- فلاناً: غده ونشأه و- نمى قواه الجسدية والعقلية
 والخلقية.²

اصطلاحاً: بعض الباحثين يشتق من هذه الأصول اللغوية المذكورة تعريفاً
 للتربية فيقول الإمام البيضاوي (المتوفى 685هـ): "الرب فى الأصل
 بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً (تدرجاً) ثم وصف
 به الله تعالى للمبالغة".³

ويقول الراغب الأصفهاني (المتوفى 502هـ) فى تعريف التربية: "الرب
 فى الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام".⁴

(ب) شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وأثرها التربوي

كل من أراد أن يتعلم صنعة التعليم والتربية ويرغب أن يفوز بقوة يقتدي
 بها فى هذا المجال ويريد أن يختار أساليبه ويستن بسنته فلن يجد مثل ما
 يجد فى السيرة النبوية المطهرة الجامعة لوسائل التعليم والتربية حيث إنه لم
 يترك وسيلة من وسائله وأدبا من آدابه إلا بينه لأن الله قد أرسله معلماً
 ميسراً فى الأميين، لم يكن النبي الكريم يشق على طلابه بل كان ييسر
 عليهم وقد أخبر بذلك بنفسه فى حديث جابر رضى الله تعالى عنه أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لم يبعثني معنفاً ولكن بعثني معلماً ميسراً
 " ⁵

وقد ورد ذكر بعثته صلى الله عليه وسلم معلماً ومربياً فى عدة آيات من
 القرآن العظيم ومنها مايلي: {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
 وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} [البقرة:
 151] وقال الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
 أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ
 لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: 164] وقال أيضاً {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي

الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ { [الجمعة: 2].

كان الرسول صلى الله عليه وسلم مربيا عظيما ومعلما ناجحا يجد الباحث في سيرته الفاضلة أسلوبا تربويا فذا من اختيار الوقت المناسب وانتهاز الفرص والمناسبات للتربية والترحيب بطالب العلم وإدناء المخاطبين والإقبال عليهم وإقبالهم عليه وإنصات الناس قبل التحدث ومسه لأعضاء المتعلم للفت النظر ومناداتهم بأسمائهم وكنيتهم وألقابهم رفقا بهم وضرب الأمثال للمتعلمين للتأنيس والوضوح والإبانة في الكلام وإعادة الكلام عند الحاجة ثلاث مرات واستخدام الإشارات واستخدام الشكل والرسم والتعليم بالفعل وأسلوب المقارنة والإجمال أولا ثم التفصيل بعده وأسلوب الاستفهام وطرح المسائل على المتعلمين اختبارا لمدى فهمهم وفطانتهم والكناية عن العورات وعدم الاستحياء في تعليم ما يحتاج إليه وسماح الطلبة بطرح الأسئلة ثم الثناء على السؤال الجيد والإجابة على سبيل التشبيه والمقايسة والإجابة بأكثر مما يسأل والسكوت عما لا يعلم والغضب على التعتن في السؤال والسماح بالمناقشة والمراجعة للتعلم والسماح بالتنبيه له ومنح الفرصة للتلميذ بالتحدث بحضرته صلى الله عليه وسلم وإعطاء التلميذ الفرصة لترديد الدرس عليه والرفق في التعليم والتواضع وعدم التكبر في التعليم والغضب على صدور خطأ ممن لا يتوقع منه والغضب على حاذق لبيب عند التقصير في الفهم وإيثار الطلبة الفقراء على النفس والأهل وإدراك مواهب الطلاب ومراعاة أحوال المتعلمين وتكريم الفضلاء مراعاة مقتضيات الطفولة، وحاجاتها، ويخاطب الناس على قدر مستواهم، ومراعاة الفروق الشخصية بينهم ، مع مراعاة مؤهلاتهم وصلحياتهم وجبلاتهم، كما يراعي في المرأة أنوثتها ومرونتها وفي الرجل رجولته وشدته وفي الشيخ مشيخته، يلتمس دوافعهم الغريزية، فيجود بالمال لمن يحب المال حتى يتألف قلبه، ويقرب إليه المكانة لمن يحب المكانة ومن خلال ذلك كله يدعوهم إلى الله وإلى تطبيق شريعته السمحة لتهديب نفوسهم رويدا رويدا وتكميل فطرتهم ونوازعهم وتوجيه طاقاتهم العقلية والجسمية للخير والصلاح متجاوبين للهدف الأسمى، وبذلك يسمو الفرد وينهض المجتمع وهذه وغيرها من أساليب التعليم الكثيرة التي تتوفر في سيرته عليه الصلاة والسلام وحياته العملية.⁶

(ت) دور قدوة الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية

شهد الله تعالى بقدوته الرشيدة في محكم كتابه {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4] وقال أيضا {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب:31] إن المصائب التي تنزل بالمجتمع الإنساني عامة والمجتمع الإسلامي خاصة كل ذلك لعدم تربية الإنسان تربية صالحة ، والانحراف به عن ابتغاء كماله، وعن فطرته وطبيعته الإنسانية. والله بعث نبيه الخاتم لصياغة الإنسان صياغة هادفة متزنة ، وليجعله خير مثال على الكرة الأرضية لتسود العدالة الإلهية في المجتمع الإنساني. ويستغل بما خلقه الله تعالى من قوى الطبيعة استغلالا واقعيًا متزنًا وقد رأينا إخفاق الجهود التربوية والفلسفات الغربية في التربية لإنقاذ الطفولة والإنسانية من ظلم القرون الأوروبية الوسطى فباعت فاشلة ، فظلت التربية الإسلامية ضرورة حتمية وقضية إنسانية ، فثبتت بالضرورة أن تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التربية الإنسانية وأولها القرآن الكريم وثانيها السنة النبوية .

كان وقع عظيم وأثر عميق في نفوس الإنسان لقدوة الرسول عليه السلام حتى شغلهم عن ممارسة الشعر والمفاخرة فيه وعن الحكم والكهانة وأخبار الفروسية وأخبار العرب التي كانت شغلهم الشاغل وكانوا أشد الناس تمسكا بها في حياتهم الجاهلية فكتابه الكريم قد أثر أثرا عميقا في حياة الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم وحياة صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، قد عبرت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعبارة مشرقة رائعة فقالت في وصفه عليه الصلاة والسلام: "كان خلقه القرآن"⁷

بل شهد به الحق جل جلاله في التنزيل العزيز: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا } [الفرقان: 26].

فأنزل الله جل وعلا القرآن الكريم لتثبيت الفؤاد وترسيخ الإيمان وتعليم ترتيل القرآن، فقد أخذ أصحابه رضي الله عنهم أنفسهم بتطبيق القرآن في حياتهم اليومية وأصبح شغلهم الشاغل تزيين الحياة بزينة القرآن والاستنارة بنوره والاستضاءة بحياة الرسول في فهم مغزاه.⁸

كما يصور الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تربية الرسول صلى الله عليه وسلم الصالحة أجمل تصوير: "هذا والرسول صلى الله عليه وسلم يغذي أرواحهم بالقرآن ويربي نفوسهم بالإيمان ويخضعهم أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن وخشوع قلب وخضوع جسم وحضور عقل. فيزدادون كل يوم سمو روح ونقاء قلب ونظافة خلق

وتحررا من سلطان الماديات ومقاومة للشهوات ونزوعا إلى رب الأرض والسموات ويأخذهم بالصبر على الأذى والصفح الجميل وقهر النفس، لقد رضعوا حب الحرب وكانهم ولدوا مع السيف وهم من أمة، من أيامها حرب بسوس وداحس والغبراء وما يوم الفجار ببعيد".⁹

تنشئة الأمة الوليدة على الإيمان والتقوى وكرامة الإنسان

أ- يربيهها على روح التوحيد

المربي العظيم يربي الجماعة الناشئة على مغزى التوحيد وروحه تربية عميقة دقيقة ولم يزل القرآن منهجهم في التربية الجديدة يسمو بنفوسهم إلى القمة والعزة ويستأصل جذور الجاهلية وسمومها فيسري الإيمان في أعماق قلوبهم وتترسخ روح العقيدة إلى قعر أحشائهم وجرى حبههم لخالقهم والتفاني له مجرى الدم والروح فاستطاع أن يغير مسيرة التاريخ، وظهر منهم عجائب وغرائب في الإيمان والشجاعة والأخلاق وجعل الإيمان مصدر الفلاح والفوز في الدارين ويقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا).¹⁰

فأمّنوا بالله الذي له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى فإذا آمن أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته بكاملها وتغيرت نفسياته ومشاعره وذوقه وسلوكه وجعل منه إنسانا غير الإنسان والرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم دفع بالتي هي أحسن فصار العدو اللدود وليا حميما قال الله تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } [فصلت:34].¹¹

ب- يربيهها على كرامة الإنسان

يربي الرسول صلى الله عليه وسلم الجماعة الوليدة على كرامة الإنسان قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} [الإسراء: 70] صار الناس في ظل هذا الوعي الإيماني أسرة واحدة أبوهم آدم وأدم من تراب لا شرف إلا بالدين ولا فضل إلا بالتقوى يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات:13] وينفخ في نفوسهم روح الإنسانية ويعطيهم معيارا جديدا للكرامة والأفضلية ويحارب الطبقية والعصبية القبلية والحمية الجاهلية عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عز وجل قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى

وفاجر شقي أنتم بنو آدم وأدم من تراب ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن" ¹² لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاطمها بأبائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب). ¹³ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد بكرامة الإنسان فيما يناجي به ربه دبر الصلاة: (اللهم أنت ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك اللهم أنت ربنا ورب كل شيء أنا شهيد أن العباد كلهم أخوة اللهم أنت ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك وأهلي في الدنيا والآخرة ذا الجلال والإكرام...).

حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم لتكريم إنسان ميت بل لجنزة يهودي وذلك لتربية المسلمين على توقير الإنسان كلهم سواء كان مسلما أو غير مسلم، حيا كان أو ميتا. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به جنزة فقام فقيل له إنها جنزة يهودي (فقال: أليست نفساً) ¹⁴

ج- يرببها على رفض دعوى الجاهلية

يستأصل جذور الجاهلية وجراثيمها من نفوسهم و أغلق كل منفذ من منافذها ولم يزل يرببهم على سماحة الإسلام ويحارب العصبية ويحرم حمية الجاهلية بكل ما عنده من قوة تحريما باتا ويعلن بكل صراحة بخروج من دعا إلى حمية الجاهلية من الإسلام ويقول: « ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية». ¹⁵ ويقتلع جذور الجاهلية من قعر قلوب الجماعة الوليدة بتربية إيمانية عميقة ويشدد النكير عليها ويرفضها رفضا باتا. عن جابر قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنادى المهاجر يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما هذا دعوى الجاهلية قالوا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر فقال لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره) ¹⁶

ويحارب التفاخر باللون ويشدد عليه الإنكار ، حيث يروى عن أبي أمامة قال: (عَبَّرَ أَبُو دَرٍّ بِلَالًا بِأُمَّه، فَقَالَ: يَا ابْنَ السُّودَاءِ، وَإِنَّ بِلَالَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ فَعَضِبَ، فَجَاءَ أَبُو دَرٍّ وَلَمْ يَشْعُرْ، فَأَعْرَضَ

عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا أَعْرَضَكَ عَنِّي إِلَّا شَيْءٌ بَلَغَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " أَنْتَ الَّذِي تُعَيِّرُ بِلَايَا بَأْمِهِ ؟ " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَحْلِفَ مَا لِأَحَدٍ عَلَيَّ فَضْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا كَطَفِّ الصَّاعِ " ¹⁷.

يربيها الرسول صلى الله عليه وسلم على طهارة شاملة

الأم العاقلة تربي أولادها على مكارم الأخلاق فالرسول صلى الله عليه وسلم يلعب دور الأم العاقلة الراشدة الحنون على بنيتها يتفقد شؤونها هادفاً إلى بناء أمة متحضرة مثقفة وخير أمة على الأرض ويربيها على الطهارة الشاملة قلبيا كان أو جسميا وجعلها شطرا أساسيا من الإيمان، ولن يقبله الله تعالى إلا بها، قال عليه السلام "الطهور شطر الإيمان" ¹⁸.

طهارة القلب

يبتدأ الإسلام بالأهم ثم المهم يشرع بأمرها وهي طهارة القلب عن نجاسة الشرك وتزكية النفس عن جميع ما يخالف روح التوحيد يقول الله عز وجل: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى:15,14] ويقول أيضا: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس:10,9] ويحذر عن الشرك ويجعله أكبر الكبائر و أخطرها قال تعالى: {يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:13] ويعلن أنه لا يغفر أن يشرك به {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء:116].

نظافة الجسم والثوب والشعر

يبني الرسول صلى الله عليه وسلم أمة مثقفة ومتحضرة بمعناها الحقيقي متحلية بقيم الإنسان المتحضر ومتسلحة بسلاح الثقافة الراقية الإسلامية وحرية على نظافة الجسم والرأس والثياب قال الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} [المائدة:6] وتجعل الطهارة القلبية والنظافة الجسمية و صاحبها محببا لدى خالقه حيث قال الله عز وجل: {فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ} [التوبة:108] ويعلن رسول الحضارة والثقافة صلى الله عليه وسلم الغسل والاستحمام حقا واجبا لله تعالى على المسلم الصادق في حديث رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده" ¹⁹. والمسلم الذي يريده الرسول صلى الله عليه وسلم شامة بين الناس نظيف جدا نظيف

في ثيابه قال الله تعالى: {وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر: 4,5] المسلم الذي يتفقد ثيابه ويتعهد شعره بين الحين والحين ولا يرضى أن تكون ثيابه وسخا وشعره ثائرا . وعن جابر بن عبد الله قال أتانا النبي صلى الله عليه وسلم فرأى رجلا ثائر الشعر فقال: "أما يجد هذا ما يسكن به شعره" ويقول أيضا: "أما يجد هذا ما يغسل به ثيابه".²¹

تعهد رائحة الفم و الجسم والثياب

يبني الرسول صلى الله عليه وسلم أمة واعية تتعهد فمها بحيث يبقى نقيا معطرا الأنفاس فلا يشم أحد رائحة مؤذية، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم بنظافة الفم عناية يجعله شبه واحب يقول: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة".²² يقوم المسلم بتنظيف أسنانه يوميا بالسواك والفرشاة ويعرض على طبيب الأسنان أن احتاج الأمر إلى ذلك لقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين أكلوا البقول ذات الرائحة الخبيثة عن الاقتراب من المساجد ومجالس الناس لئلا تتأذى الملائكة والحضور من روائح القذرة المنتنة قال: "من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم".²³ ومن ثم فهو يريد منهم أن يكونوا حريصين على النظافة، تضعون ثيابهم بالطيب و هو حريص على طيب رائحته، دوما تفوح من جسمه الروائح العطرة الزكية إذا صافحه أحد ظل يومه يجد ريح الطيب في يده، لم يكن يمر في طريق الإعراف مسلكه من طيبه ولو أصابت يده رأس طفل يعرف من بين الأطفال بزكاء طيبه فيقول أنس رضي الله عنه ، "ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مسست شيئا قط ديباجا ولا حريرا ألين مسا من رسول الله صلى الله عليه وسلم".²⁴ عرقه أطيب الطيب يستعمل في الزفاف والمحافل حيث يقول أنس: "دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ عِنْدَنَا فَعَرَقَ فَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: " يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟" قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجَعُهُ فِي طَبِينَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطَّيِّبِ".²⁵ ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون المسلم حسن المنظر وأنيق الهيئة ترتاح لمن راه العيون يتفقد نفسه دوما قبل خروجه على الناس فيسوي نفسه وثيابه وشعره ولحيته فيتجمل لهم باعتدال إن الرسول الخاتم س قال لرجل: "أَحْسِنْ عِلَاقَةَ سَوَاطِكِ فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ".²⁶

نظافة الدار والبيئة

الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم يربي الأمة الوليدة على طهارة الدار ونظافة ما حولها فيعلمهم طريقة البول والبراز السليمة ويبعث في قلوبهم شعورا مرهفا بالنظافة والعناية بالبيئة السليمة الصحية شدة عناية ويحذرهم عن النجاسة والأوساخ وينبههم عن الجراثيم الضارة فيها ويقيهم عن التلوث البيئي لسببها ويقول: "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل".²⁷ وينهاهم عن التبول في مكان يسبب الوسواس منه لأن الوسواس يجلب الأمراض يقول: "لا يبولن أحدكم في مستحمه فإن عامة الوسواس منه".²⁸ ويشدد على نظافة البيئة و يحذرهم عن خطورة تلوثه ويجعل خصلة الإهمال بالنظافة من ديدنة اليهود ويقول: "فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا اليهود"²⁹ ويربيهم الرسول صلى الله عليه وسلم على صيانة المياه وينهى عن تلويثها وتخريبها لأنها أقوى وسائل الطهارة والنظافة وفي تلويثها ويل للأمة وينسب الوباء والعدوى فيشدد النكير فيقول: "لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يتوضأ فيه".³⁰ و ينهاهم عن التنفس فيها عند الشرب لأن فيه تلويث الماء بثاني وكسيد كربون يقول: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يتمسح بيمينه".³¹

التربية على الاعتدال في الأكل والشرب

يحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أشد الحرص على أن يكون المسلم سليم الجسم وقوي البنية، فيحل لهم الطيب المفيد ويحرم عليهم الخبيث الضار حيث قال الله عز وجل: {وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} [الأعراف: 157] فلا يأكل إلا حلالا طيبا مفيدا للصحة ويجتنب المخدرات والخبائث مستنيرا بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: 172] ولا يقبل على الطعام إلا إذا جاع، ولا يقبل إقبال الشره النهم، بل يقتصد في طعامه وشرابه، وإنما يتناول منه ما يقيم به صلبه ويحفظ عليه صحته ومستهديا بهدي سيد المرسلين فيه، قال الرسول 7 عليه أفضل الصلاة والسلام: "ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب المرء أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فتلت لطعامه وتلت لشرابه وتلت لنفسه"³² فليتناول الطعام في ثلث بطنه ويترك ثلثه الآخر للمياه والثلث الباقي للنفس، وهذا أنفع للصحة وهندام الجسم وسلامة القلب والمزيد من الأكل يؤدي إلى مرض القلب وضعف الجوارح عن الطاعات وانغماسها في الشهوات الناشئة من الشبع وامتلاء البطن بالغذاء المتفننة، و ذلك

الانغماس مضر للقلب والبدن. والطريقة النبوية هي طريقة مثلى لتناول الغذاء من راعاها صان صحته عن الفساد والهلاك. بل هذا هو منهج إلهي للأكل والشرب حيث بينه الله تعالى في كتابه العزيز: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف:31] هذه الكلمات القليلة العدد قانون من قوانين الصحة من سار عليها ضمن نفسه الصحة.

التربية على التمسك بوسطية الإسلام وحنيفيته

الوسطية في كل شيء أفضله وأعدله وهو المنشود من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة:143] فيربي الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم الأمة الوليدة على التمسك بوسطية الإسلام وحنيفيته، ويفضل الوسطية على غيرها ويجعل الخير فيها: "خير الأمور أوسطها"³³ ولا تعسير ولا إرهاق ولا تعصب ولا تعنت في الأمور كما قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} [البقرة:185] وقال أيضا: {وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [البقرة:78].

ومن الواقع أن يسمى الإسلام بدين السماحة والتدرج في التشريع ويحث على الأخذ باليسر ودفع الحرج والمشقة في كل مجال من مجالات الحياة فردية كانت أو جماعية، وجمع بين الدين والدنيا وبين الماديات والروحانيات لأن الإنسان جسد وروح قال تعالى: {وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة:201] وينهاهم عن الغلو والإغراق في الدين، أو التغلغل في الروحانيات والصوفية أو الحرص الجامح في الدنيا وزخارفها وزينتها "يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"³⁴ وقال أيضا: "إياكم والتعمق في الدين، فإن الله تعالى قد جعله سهلا، فخذوا منه ما تطيقون، فإن الله يحب ما دام من عمل صالح، وإن كان يسيرا"³⁵ يربي الرسول صلى الله عليه وسلم تربية صادقة على حنيفية الإسلام ووسطيته، حيث يروي ابن عباس قال قيل: "يا رسول الله أي الإسلام أفضل قال حنيفية سمحة"³⁶ وهكذا يحقق الإسلام التوازن لأهله بين روحه وجسمه وعقله ودينه ودنياه

الخاتمة

كان الأفراد هم أساس المجتمع الصالح والدعائم التي تبنى عليها كل نهضة اجتماعية وثورة حضارية وثقافية وعنيت المجتمعات الإنسانية الرشيدة

الحكمة بتربية الإنسان تربية سالحة دقيقة شاملة لجوانب الحياة كلها روحية وجسدية وعقلية مع التوازن في توفير متطلبات الحياة ومقتضياتها. فيربي الرسول صلى الله عليه وسلم الجماعة المسلمة الوليدة على روح التوحيد تربية عميقة دقيقة ولم يزل القرآن يسمو بنفوسهم فيتغلغل الإيمان في أحشائهم. ويرببهم على كرامة الإنسان ويستأصل من نفوسهم جذور الجاهلية وجراثيمها و يغلق كل منفذ من منافذها، ولم يزل يرببهم على سماحة الإسلام ويحارب العصبية ويحرم حمية الجاهلية ويعلن بكل صراحة بخروج من دعا إلى دعواها من الإسلام. يلعب دور الأم العاقلة الراشدة الحنون على بنيتها يتفقد شؤونها هادفا إلى بناء أمة مثقفة ويبنى أمة متحضرة بمعناها الحقيقي متحلية بقيم الإنسان المتحضر حريصة على نظافة الجسم والرأس والثياب فيرببهم على التمسك بوسطية الإسلام واعتداله، ويريد الرسول صلى الله عليه وسلم مسلما واعيا يتعهد فمه بحيث يبقى نقيا معطرا الأنفاس ولا يأكل إلا حلالا طيبا يقتصد في طعامه وشرابه وهو صحيح الجسم وقوي البدن ومتمين البنية.

وأسال الله تعالى أن يوفقنا جميعا للناسي بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الحياة كلها إنه سميع مجيب.

الهوامش

- ¹- الحميدي. محمد بن فتوح ، الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم ، رقم الحديث (1707). تحقيق : د. علي حسين البواب، عدد الأجزاء / 4، دار النشر / دار ابن حزم - لبنان/ بيروت ، الطبعة: الثانية - 1423هـ - 2002م .
- ²- مجمع اللغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، (دهلي: كتب خانة حسينية، ديوبند، يوبي، دار العلم، 2386 بليمان، ت . د ، ط . د) ص326.
- ³- النحلوي ، عيد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية في البيت و المدرسة والمجتمع، الطبعة الثانية، (دمشق: دار الفكر، ط 1402- 1982 م) ص 12 .
- ⁴- المصنود السابق، ص 12 .
- ⁵- الإمام أحمد، المسند، رقم الحديث 14515، 22،351، اللفظ له، وقدأخرج الإمام مسلم، في صحيحه، كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير إمراة لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم الحديث 29 (1478)، ج2 ، ص 1105 .
- ⁶- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط.د،ت،د) ص 282، و أ. د. فضل إلهي، النبي الكريم معلما، الطبعة

- الأولى، (الرياض: مؤسسة الجريسي للتوزيع الإعلان ، ط1424 هـ - 2003 م) ص5-7.
- 7 - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية 1420 هـ، 1999م، عدد الأجزاء: 50 (5+45) فهارس) ج41، ص148.
- 6 - محمد شديد، منهج القرآن في التربية، (بيروت: مؤسسة الرسالة، شارع سوريا، ط 1415 هـ-1974 م) ص 80-100.
- 9 - الندوي، أبو الحسن علي الحسني، ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، القاهرة: مكتبة السنة، طبعة جديدة عام 1410 هـ - 1990م، ص124.
- 10 - السيوطي، جلال الدين، جامع الأحاديث، رقم (41201).
- 11 - الندوي، أبو الحسن علي الحسني، ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص130.
- 12 - أبو داود، سنن أبي داود، رقم (5118).
- 13 - البرهان فوري، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (المتوفى: 975 هـ) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الخامسة، 1401 هـ/1981م، رقم (1296).
- 14 - الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم، رقم الحديث (703).
- 15 - أبو داود، سنن أبي داود، رقم (5123).
- 16 - الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم، رقم الحديث (1562).
- 17 - البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني، أبو بكر (المتوفى: 458 هـ)، شعب الإيمان، رقم (4772)، حققه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة: الأولى، 1423 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 14 (13، ومجلد للفهارس).
- 18 البخاري (6050)، ومسلم (1661) (38)، (39)، وعبد الرزاق في "المصنف/9" (447) رقم (17965)، من طرق عن الأعمش، عن المعرور بن سويد.
- 19 - الإمام مسلم، صحيح مسلم، رقم (849).
- 20 - الإمام النسائي، سنن النسائي، رقم (9261).
- 21 - ابن حبان، صحيح ابن حبان، رقم (5483).
- 22 - الحميدي، الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم، رقم (2465).
- 23 - المرجع السابق، رقم (1534).
- 24 - الإمام مسلم، صحيح مسلم، ترقيم عبد الباقي (2330).

- 25- المصدر السابق، رقم (2331) .
- 26- السيوطي، جلال الدين، جامع الأحاديث، رقم (775) .
- 27- الإمام أبو داود، سنن أبي داود، رقم (26) .
- 28- ابن ماجة، سنن ابن ماجة، رقم (304) .
- 29- رواه مسند البزار ، رقم (1114) .
- 30- الإمام الترمذي، سنن الترمذي، رقم (2489) .
- 31- الحميدي، الجمع بين الصحيحين بخاري ومسلم، رقم (720) .
- 32- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي (بيروت: مؤسسة الرسالة سنة النشر 1405 - 336\3(1984)، ورواه ابن حبان (1349 موارد) والمصنف في المعجم الكبير (ج 20 رقم 645)، الترمذي (1381) .
- 33- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (المتوفى: 606هـ) ، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة: الأولى ، ج 10 ، ص 130 .
- 34- القزويني، محمد بن يزيد أبو عبدالله، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: 2، رقم (3029) .
- 35- البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، رقم (5348)
- 36- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، رقم (1006)، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر : دار الحرمين - القاهرة ، 1415هـ، عدد الأجزاء : 10 .